دنشواى

المسدى، محمد جمال الدين على.
دنشواى/ محمد جمال الدين المسدى.
القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية، ٢٠٠٦.
٢٤١ ص: ايض ؛ ٢٤ سم.
تدمك ٠ - ٤٤٨ - ١٨ - ٩٧٧

عرض
راضى محمد جودة يونس
باحث بمركز البحوث الوثائقية
دار الوثائق القومية

ولد الدكتور محمد جمال الدين المسدى بمحافظة المنوفية يوم ١٩٢٠/١٢/٢٣ وتوفى فى ٢٠٠٥/١١/٣٠ بالقاهرة وقد حصل على الدكتوراه من انجلترا وله عدة أعمال من أهمها دنشواى.

يتناول هذا الكتاب الذى بين أيدينا احدى الحوادث الشهيرة فى تاريخ بلدنا العزيز وهى حادثة دنشواى.

فهناك العديد من الثورات الفلاحية على مدى التاريخ المصرى منذ أيام ذلك الفلاح الفصيح الذى اشتهر فى التاريخ المصرى القديم الذى ظلمه أحد الكبراء فى مصر القديمة فلم يستسلم، وشد رحاله إلى العاصمة وثابر على تكرار شكواه بفصاحة وقوة حتى أنصفه فرعون من ظالمه. ويمكن تتبع مثل هذه الثورات فى التاريخ الحديث، مثلما حدث فى عام ١٧٧٨ م عندما قام الفلاحون فى مركز طنطا قومه رجل واحد ورفضوا دفع الأتاوات (الضرائب الإضافية) التى فرضت على أراضيهم، وألحقوا الهزيمة بقوات الحكومة التى حاولت إخضاعهم. وفى عام ١٧٩٥ ثار فلاحو احدى قرى مركز بلبيس ضد الشيخ عبد الله الشرقاوى، ملتزم جباية الضرائب فى المنطقة وذلك لما فرضه من ضرائب إضافية، واضطروه إلى إلغائها.

وفى عام ١٨٢١ م تجمـــع عدة آلاف

من الفلاحين فى مديرية قنا حول الشيخ أحمد الصالح من قرية السالمية، وقد رفع أحمد صالح راية الثورة على الحكومة وسيطر على منطقة كبيرة من المديرية، وعُين بها حاكما من بين أتباعه، وأخذ يجبى ضرائبها مما اضطر محمد على إلى إرسال بعض فرق الجيش لإخضاعه، وبعد ذلك بعامين تجددت الثورة فى نفس المنطقة على نطاق أوسع بزعامة أحمد المهدى ولم يتمكن جيش محمد على من السيطرة عليها إلا بمشقة.

وتكررت ثورات الفلاحين فى عهد محمد على فى مديرية المنيا وبعض مديريات الوجه البحرى.

وفى أوائل عهد إسماعيل ثار الفلاحون فى مركز أبو تيج بسبب نظام السخرة، ولإجبارهم على العمل فى مزارع الوالى بأجور زهيدة، وقد سافر إسماعيل إلى الوجه القبلى، وأشرف بنفسه على إخماد الثورة، وأحرق عددا من القرى. وفى أواخر عهده تكررت ثورات الفلاحين فى مديرية جرجا، وذلك لإرهاقهم بالضرائب نتيجة الأزمة المالية.

واشترك الفلاحون أيام الثورة العرابية فى مقاومة القوات البريطانية الغازية بالتطوع فى حفر خنادق وإقامة الاستحكامات فى جبهة كفر الدوار وفى الجبهة الشرقية، وبالتبرع بالمال والقوات ودواب الحمل، كما تطوع كثيرون منهم للقتال، وهكذا كان موقف الفلاحين فى الثورة العرابية يحمل مضمونا اجتماعيا وسياسيا واستمروا كذلك فى ظل وجود الاحتلال.

أما ما حدث فى دنشواى (١٣ يونيه ١٩٠٦) كان بمثابة الصدمة التى أفاقت المصريين من ثباتهم بعد أن أخذ بعضهم يراهن على صداقة المحتل، لكن جاءت دنشواى لتكشف فظاعة المحتل وقسوته على حد قول أ.د/ محمد صابر عرب فى تصديره لهذا الكتاب.

كان خمسة عشر يوما فاصلاً ما بين وقوع الحادثة وحكم المحكمة الاستثنائية (٢٨ يونيه ١٩٠٦) دليلا قاطعا على ظلم المحتل وقسوته، كما كان تنفيذ الحكم على أرض قرية دنشواى وبين أهلها رجالا ونساءً وأطفالا دليلا قاطعا على أكذوبة عدل الإنجليز.

ما أحوجنا إلى أن نسترجع الزمن لنتصور المشنقة التى نُصبت مكان وزمن الحادث لكى ينفذ حكم الإعدام على أربعة من الفلاحين: حسن على محفوظ، يوسف حسين سليم، السيد عيسى سالم، ومحمد درويش زهران. تركت أجسادهم معلقة فى المشنقة مدة خمس عشرة دقيقة، بينما الجلادون يواصلون مهمتهم فى جلد الآخرين وسط عويل النساء وبكاء الأطفال،

ومع ذلك رفض المصريون كل القيود والأغلال، وراحوا يعبرون عن رفضهم بوسائلهم الخاصة التى فشل الاحتلال فى الحد من حصارها.

ويضم الكتاب مقدمة وأربعة أجزاء؛ حيث ناقش المؤلف فى المقدمة أن مصر وُجد بها – منذ نكسة يونيو ١٩٦٧ – تياران: أحدهما تيار دينى يبدو فى قوة الشعور الدينى ومحاولة نقد الذات دينيا؛ وهذا التيار له إيجابياته و له سلبياته، أما التيار الثانى فهو تيار قومى ويذكر المؤلف بأنه خير كله ويسير فى اتجاهين وقد خلص إلى أن الاتجاه إلى دراسة التاريخ القومى والشخصية المصرية وُجد قبل ١٩٦٧، لكن النكسة أعطته دفعة قوية ساعدت على نجاحه.

وقسم المؤلف الجزء الأول من الكتاب إلى قسمين: الأول منها حمل عنوان (ثورات الفلاحين قبل الاحتلال البريطانى) عرض فيه الثورات الفلاحية ضد ظلم الحاكم وعدوانه من العصر الفرعونى وحتى ثورات الفلاحين فى الثورة العرابية.

وتتبع المؤلف فى القسم الثانى من الجزء الأول، والذى حمل عنوان (انتفاضات الفلاحين وعناصر المدن أيام الاحتلال البريطانى) أثر هزيمة التل الكبير على الشعب المصرى عامة والفلاحين خاصة باعتبارهم الأغلبية الساحقة من الشعب لذلك حرصت على اجتذابهم لكن هذا لم يؤد إلى أن يُكوِّن الفلاحون ولاءاً للاحتلال بل قاوموه فى كل أنحاء المدن المصرية.

وجاء الجزء الثانى من الكتاب تحت عنوان (حقيقة أوضاع المجتمع المصرى قبل مأساة دنشواى)؛ والذى تناول الخلفية التاريخية لدنشواى من نواحى ثلاث أساسية: الأولى: توقف السلطة الشرعية بمختلف أطرافها فى مصر عن مقاومة الاحتلال، وخضوعها واستكانتها له قبل دنشواى بعدة سنوات. والثانية: عدم خضوع الحركة الوطنية للاحتلال واستمرار مقاومتها له، ساعدها على ذلك عوامل الاستياء القديمة من الاحتلال، وعوامل أخرى استجدت قبل دنشواى نفرت الكثير من المصريين من الاحتلال، وزادت من شعور العداء نحوه. والثالثة: النتيجة المهمة التى ترتبت على استمرار مقاومة الحركة الوطنية وتزايد العداء للاحتلال، وهى اتخاذ سلطات الاحتلال إجراءات إرهابية أدت إلى وقوع حادثة دنشواى أمام المحكمة المخصوصة.

أما الجزء الثالث من الكتاب الذى جاء تحت عنوان (دنشواى)؛ وفيه استعرض المؤلف مجمع أسباب هذا الحادث، وكيف وقع؟ والروايات التى رويت عن الحادث، كما تعرض للمحاكمة وتنفيذ الأحكام

وموقف الخارجية البريطانية من هذا الحادث.

وحاول المؤلف فى الجزء الرابع والأخير (نتائج أحداث دنشواى فى مصر وبريطانيا) أن يقدم نتائج هذا الحادث على مصر حيث إنه كان السبب فى قيام الشعب المصرى بجميع طوائفه وبخاصة الفلاحين ضد الاحتلال فى ثورة ١٩١٩ ويستعرض المؤلف أقوال كتاب وكبار الموظفين الإنجليز عن الحادث والشعراء المصريين أمثال حافظ إبراهيم وغيره من الشعراء وكذلك الصحافة.

وتستهدف دار الكتب والوثائق القومية -وهى تنشر هذا الكتاب- بمناسبة مرور قرن من الزمان على هذه الحادثة - العناية بالخطاب الوطني، ولتذكير المصريين بتضحيات أجدادهم، بالإضافة إلى ذلك الاحتفاء بعشرات الآلاف من الفلاحين الذين استشهدوا فى سبيل هذا الوطن؛ سواء وهم يصدون الهجوم من المعتدين دفاعا عن الوطن، أو وهم يحفرون الترع والقنوات، ويستصلحون الأراضى تقديرا للوطن وتمسكا بالحياة.

وأهم النتائج التى توصل إليها المؤلف:

١ - إن حادث دنشواى لم يكن الأول من نوعه؛ فقد سبقه أكثر من صدام بين الفلاحين وحكام مصر المستبدين؛ وبين جيش الاحتلال البريطانى وبين الفلاحين فى الريف وعناصر المدن، لذلك أنشئت المحكمة المخصوصة عام ١٨٩٥ لمحاكمة المصريين الذين يقومون بالاعتداء على ضباط وجنود جيش الاحتلال وكان ذلك قبل حادث دنشواى بسنوات.

٢- إن حادث دنشواى لم يكن عدوانا على أذلاء مستضعفين من الفلاحين بل كانت معركة بين الفلاحين المصريين و بين جيش الاحتلال.

٣- إن حادث دنشواى جاء نتيجة لحالة التذمر المتزايد والعداء ضد الاحتلال البريطانى فى مصر حيث بلغ أشده قبل حادث دنشواى، ثم فجره حادث دنشواى.

٤ -- إن حادث دنشواى لم يكن صداما بين الفلاحين وضباط من هواة صيد الحمام، بل كان فى حقيقته صداما بين الفلاحين ومجموعة من جيش الاحتلال الذى كانت مهمته الحقيقية أنذاك الإرهاب وإظهار قوة الاحتلال عن طريق مرور مجموعات عسكرية تخترق الريف المصرى ما بين القاهرة والإسكندرية بهدف القضاء على روح العداء المنتشرة بين المصريين ضد الاحتلال.

إن حادث دنشواى والحوادث الأخرى التى سبقته وتلك التى جاءت بعده على طول التاريخ المصرى لتؤكد وجود روح النضال لدى المصريين بوجه عام ولدى الفلاحين بوجه خاص ضد أى عدوان خارجى مهما كان نوعه أو مصدره.